



حلب - المأساة والأمة الغائبة

خطب الجمعة

2016-12-16

عمان

مسجد الناصر صلاح الدين

مقدمة:

يا ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عنى كل فقير، وعن كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك؟ وكيف نضل في هداك؟ وكيف نذل في عزك؟ وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك؟ والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً؛ ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنّا خير ما جزي نبياً عن أمته، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فيا أيها الإخوة الكرام، كنا نسير في مجموعة خطب بعنوان: اعرف رسولك، ولكنني سأقطعها في هذه الخطبة لنعود إليها في الخطبة اللاحقة إن شاء الله، وذلك لتتحدث عن الحدث الساخن في هذا الأسبوع من وجهة شرعية.

أيها الإخوة الكرام، حلب وما أدراكم ما حلب، وجميعكم تابع خلال هذا الأسبوع أخبار هذه المدينة الجريحة.

الحقيقة المرة خير ألف مرة من الوهم المريح:

أيها الإخوة، بادئ ذي بدء ينبغي أن ننطلق من حقيقة مهمة؛ وهي أن **الحقيقة المرة خير ألف مرة من الوهم المريح**، يمكن أن أحاطبكم الآن بكلام أدغدغ فيه عواطفكم ومشاعرهم، وما أسهله! ويمكن أن أتكلم بكلام بعيد عن الواقع يجعلكم تشعرون بالتفاؤل، وما أسهله!



لا تستهينوا بقيمة الدعاء

ولكنني انطلقت من هذه الحقيقة واعذروني لتتكلم عن الواقع كما هو، لأن ذلك أدعى لتصحيح الأخطاء، وأدعى لعمل صحيح، في هذا الأسبوع تفاعلت الأمة بشكل جيد مع هذا الحدث المأساوي، ووالله أيها الإخوة لا تستهينوا بقيمة الدعاء، فلعل الله عز وجل بدعوة إخوة طيبين في هذا البلد الطيب، أو غيره من بلاد المسلمين خفف المحنة، أو أزال بعض الغمّة عن أهلنا في حلب، وفي غيرها من ديار المسلمين، والله تعالى لن يخلد الدعوات فقط، الله تعالى خلد دموعاً فاضت من أناس لم يجدوا ما يفعلوا شيئاً فذكر ذلك في القرآن، قال تعالى:

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَسْتَهِنُوْا بِاللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ
وَلَا عَلٰى الدِّيْنِ اِذَا مَا اتُوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا اَجِدُ مَا اَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَاَعْيَبُوْهُم مِّنْ الدَّفْعِ حَزَنًا اَلَّا يَجِدُوْا مَا يُنْفِقُوْنَ (92)

(سورة التوبة)

عدم التقليل من أي عمل ولو كان صغيراً:



من لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم

خُذ الله دموعهم في القرآن ليقول لك أيها المسلم لا تستهين بعمل مهما كان بسيطاً، لذلك القلوب التي تعاطفت، والدعوات التي انطلقت، والناس الذين قنتوا في الصلوات، والناس الذين دفعوا وبذلوا هؤلاء كلهم عند الله لهم مكان عظيم، فهم يهتمون بأمر المسلمين، فهم من المسلمين، أما الساهرون في الملاهي وفي الشهوات بعيداً عن هموم المسلمين، فينطبق عليهم قول بعض الصحابة: "من لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم" فانا لا أقلل من شأن أي عمل ولو دمعة سالت على خدّ إنسان حزنًا لقا يلقاه إخوته المسلمون في حلب، وفي شتى الأمصار.

ولكن لا بد مرة ثانية أن نعود إلى الحقائق؛ لأننا دائماً أيها الإخوة نتفاعل مع الأحداث تفاعلاً أنياً، ثم نُغلق محنة حلب إعلامياً، ونُغلق معها الدعوات والتعاطفات، وينتهي الأمر إلى أن تأتي محنة أعظم وأشد من سابقتها، وهكذا حالنا.

ما يحدث للأمة الإسلامية بما قدمت أدينا:

لذلك كان لا بد من حديث ربما يكون قاسياً، ولكنه حديث واقعي، أيها الإخوة في معركة أحد هُزم المسلمون، وكان ذلك نتيجة لمخالفتهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، علّق القرآن على الحادثة فماذا قال؟ قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"أَوَلَمْ آصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا فُلْنُمْ أَنَّى هَذَا" قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ
اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165)

(سورة آل عمران)



فلسطين مصيبة المصائب

وحلب مصيبة، والموصل مصيبة، وفلسطين مصيبة المصائب **أَوَلَمْ آصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا فُلْنُمْ أَنَّى هَذَا**؟ ما مصدره؟ لم حصل؟ ما السبب؟ **قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**؟ هذه هي الحقيقة المرة **قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**؟ لكن سبب الحدث، سبب المصيبة هو من عند أنفسكم، ليس من عند المجتمع الدولي الذي تناذونه، **إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**؟ قدرة الله فوق هؤلاء الطغاة، فوق المتجبرين، عاناه من العذاب في مكة، هل سمعتم في السيرة كلها أنه استصرخ المجتمع الدولي؟ هل نادى الفرس والروم لينصروه؟ لم يفعل، بلال الحبشي يوم كانوا يضعون فوقه الصخور، وجسده ملتصق برمال الصحراء الساحنة، لما توضع الصخور هل كان ينادي الفرس أو الروم أم كان يقول أحد أحد؟ كان يقول: أحد أحد.

لا وجود لمجتمع دولي ينصر المسلمين:



المجتمع الدولي لا يتدخل إلا من أجل مصالحه

عمار بن ياسر يوم كان يُسام وأهله سوء العذاب هل استصرخ المجتمع الدولي؟ أنا لا أدري أولاً أين هو المجتمع الدولي؟ لا أعرف هذا المصطلح من هو؟ يستنكرون صمته، يستنكرون سكوته، يستنكرون مشاركته في الجريمة، أنا لا أدري حتى الآن فإذا كان عند أحدكم جواب فليقل لي من هو المجتمع الدولي حتى نستصرخه؟ أو تنتظر منه شيئاً، أو نعلق الأمل به، أو نقول لماذا لم ينصرونا؟ أين هو؟ أنا لا أعرف أن هناك مجتمعاً دولياً، بل إن كان عند أحدكم منذ مئة عام سابقة مرة واحدة، مثال واحد لتدخل هذا المجتمع الدولي لنصرة الضعيف حقاً فليعطني هذا المثال، أنا لا أعلم أن مجتمعاً دولياً تدخل لنصرتنا، أو لنصرة مظلوم، لم يحصل ذلك، هذه الكذبة لنضعها على جنب، كفانا تعلقاً بها، لا أعلم لا في فلسطين، ولا في العراق، ولا في ليبيا، ولا في مصر، ولا في بلد عربي، ولا مسلم، ولا في بورما أن المجتمع الدولي تدخل يوماً لنصرة ضعيف، أو لإحقاق حق، أو لإبطال باطل، أبدأ، تدخل من أجل النفط، تدخل من أجل مصالحه، تدخل من أجل الاقتصاد، تدخل من أجل كل شيء يحقق الرفاه لشعبه، لكن هل تدخل لنصرة الضعيف؟ أنا لا أعلم، إن كان أحدكم يعلم فليخبرنا.

لذلك أيها الإخوة، النبي صلى الله عليه وسلم لم يستصرخ أحداً، لأنه يؤمن بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ جُنُودِهِمْ وَلَا يُجِبُونَكُمْ" وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لُفُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا
خَلُوكُمْ عَصَوْنَا أَلْتَمَلْنَا مِنَ الْعَيْطِ" قُلْ مُؤْتُوا عَيْطَكُمْ إِنْ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (119)



سنن الله تعالى لا تحابي أحداً

أيها الإخوة الكرام، مرة ثانية اعذروني فأنا لا أريد أن أدغدغ المشاعر، ولا العواطف، ولا أثير الشجون، أنا أريد أن أتحدث بالواقع حتى لا نسيء الظن برينا، الله تعالى موجود، وسننه لا تحابي أحداً أبداً، أنت إذا تعرضت لسنن الله الشرعية فعليك أن تكون وفق السنن الشرعية، وإلا لا تنطبق عليك، الصحابة الكرام ومعهم سيد الخلق على رأسهم صلى الله عليه وسلم هل انتصروا في أحد؟ لا، هل انتصروا في حنين؟ لا، في حنين أعجبهم كثرتهم فلم ينتصروا، في أحد خالفوا الأمر الشرعي، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينتصروا، فإذا كانت سنن الله لم تحاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهل نتظر أن تحابنا نحن على ما نحن عليه اليوم من معاصي وأثام؟ مستحيل، ما دمت تتعرض لسنن الله الشرعية فعليك أن تكون وفقها، وإلا لن تنطبق عليك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۖ وَلَا يَجِبُ الْمَكَرَ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ ۗ
 فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۚ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43)

(سورة فاطر)

السنن الكونية:

سنن الله شرعية وسنن كونية، السنن الكونية: النصر للأقوى، السنن الكونية: النصر لمن يملك الطائرات، السنن الكونية: النصر لمن يملك الحلفاء، والحلفاء اليوم كلهم ليسوا في صف المسلمين، هذه السنن الكونية.

السنن الشرعية:



النصر لمن يأخذ بالأسباب

أما السنن الشرعية النصر لمن يأخذ بالأسباب، ولمن يحمل نفسه على طاعة الله، وبيننا الأمة وبهيها كما فعل صلاح الدين الأيوبي، أحيا الأمة ثم ذهب إلى القدس فحررها، فإذا كنت ترى أن تتعرض للسنن الشرعية فعليك أن تكون وفقها، فسنن الله لا تحابي أحداً، هذه هي الحقيقة أيها الإخوة ينبغي أن نعيها، وينبغي أن نعي هذا الدرس المؤلم الذي عشناه في هذا الأسبوع، والذي نسال الله ألا نعيش أمثاله بعد ذلك.

ولكن لا بد من أن نصحو من غفلتنا، لا بد من أن نغير، أن نبدأ من أنفسنا، أن نعدل الخطأ، أن نغير المسار، أن نصح المسار، أن نلتزم بأمر الله، أن نجعل أفراننا إسلامية، وأتراحنا إسلامية، ومساجدنا تعج بالمصلين، وأموالنا تُنق في الوجه الصحيح، وتُكنسب من الوجه الصحيح، وأولادنا يُرثون على طاعة الله، والعلاقة مع زوجاتنا وفق منهج الله، والعلاقة مع النساء الأخريات وفق منهج الله، وبناتنا محجبات وفق منهج الله وهكذا، هذا هو الحق الذي تدن الله عز وجل به، ونقول.

دعاء الختام:

حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزَنَ عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه وعمل إلى ما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى، استغفروا الله.

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميع قريب ومجيب للدعوات.

اللهم برحمتك عَمَّنَا، واكفنا اللهم شر ما أهنا وأغمنا، وعلى الإيمان الكامل والسنة توفنا نلقاك وأنت راض عنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين، وأنت أرحم الراحمين. ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول وعمل، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونيبك محمد صلى الله عليه وسلم، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونيبك محمد صلى الله عليه وسلم.

اللهم أهلنا في حلب، فرجاً عاجلاً غير آجل، اللهم اجبر كسر قلوبهم، اللهم ارفع الغمة عنهم، اللهم آوهم، اللهم دقِّتهم برحمتك، اللهم اشم لهم بجميل عنايتك، يا أرحم الراحمين، اللهم اخذل من خذلهم، وانصر من نصرهم، اللهم عليك بأعدائهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم عليك بمن ظلمهم، اللهم عليك بمن شارك بظلمهم، اللهم عليك بمن أيد ظلمهم، اللهم عليك بمن أفتى بظلمهم، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك.

الله اجعل لهذه الأمة أمرٌ رشيدٌ يُعزِّد فيهم أهل طاعتك، ويُهدى فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر، ويُحق فيه الحق، ويُبطل فيه الباطل.

اللهم أهلنا المسلمين في كل مكان، فرح اللهم همهم، واكشف غمهم، اللهم اجعل لهم من كل ضيق مخرجاً، ومن كل همٍّ فرجاً يا أرحم الراحمين.

اللهم قد عمَّ الفساد فنحننا، قلت حيلة فتولَّنا، ارفع مقنك وعضبك عنا، لا تعاملنا بما فعل السفهاء منا.

اللهم عاملنا بما أنت له أهل، أنت أهل التقوى وأهل المغفرة.

اللهم انصرنا على أنفسنا وعلى شهواتنا حتى نتنصر لك فنستحق أن تنصرنا على أعدائنا.

يا ناصر المستضعفين انصر عبادك الموحدين في مشارق الأرض ومغاربها، اللهم انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً، مستظلاً بكتابك، وشرعة نبيك صلى الله عليه وسلم، وألهم القائمين على أمره السداد والرشاد، وإقامة أمرك يا أرحم الراحمين.

وفق اللهم ملك البلاد لما فيه خير البلاد والعباد، أقم الصلاة وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.